ستظهر أولى المحاولات الحقيقيّة للتنظير ذي الطابع الفلسفي التأملي في القرون الوسطى مع المدرسيين Les scolastiques . كان الاتجاه المدرسي (Scolastique) محاولة للتوفيق بين المذهب الكاتوليكي وفلسفة أرسطو ترمي إلى التقريب بين مقتضيات العقل ومستلزمات الوحي. وقد ازدهر هذا التيار الفكري برعاية الكنيسة الّتي سيطرت بصفة فعليّة على مسار المعرفة والعلم. وأخضعت الدراسات لعلم اللاهوت المسيحي. وفي هذا الإطار الفكري عاب المدرسيّون على المنوال النحوي اللاتيني عدم ارتباط مقولاته وقواعده بالعقيدة (dogme) المدرسيّة رغم إقرارهم بقيمته البيداغوجيّة (أي قيمته الإجرائيّة) .فنشطت الهمم وألّفت أنحاء عامّة ذات طابع فلسفي تأمّلي أدمجت المنوال النحوي اللاتيني ضمن الفلسفة المدرسيّة وبرّرت جزئياته تبريرا فلسفيا.

من طريف ما يلاحظ أن نحاة هذه الفترة الّذين كانوا يزعمون أنّهم يؤسسون لنحو كلّي صالح لكلّ الألسنة قد احتفظوا في الحقيقة بمقولات النحو اللاتيني بكلّ تفاصيلها ونزّلوها منزلة عامّة لم تكن مبرّرة.

لم تقف محاولات بناء أنحاء كليّة مع المدرسيّين. فقد تواصلت ضمن ما يسمى بالأنحاء الفلسفيّة خاصّة تلك الّتي اقترنت بمدرسة بوررويال ق 17 وتواصلت في القرن 18. بل إن هاجس النحو الكلي عندها أصبح أوضح. وكانت تفترض أن كلّ الألسنة تعكس عكسا أمينا قوانين الفكر لذلك يمكن ردّ الاختلافات السطحيّة بينها إلى قوانين أعمق يمكّن علم المنطق من الإحاطة بها.

والملاحظ أيضا أن نحاة بوررويال ظلّوا يعتبرون جزءا هامّا من مقولات النحو اللاتيني قدرا مشتركا ضروريّا بين جميع الألسنة.

ولقد كانت الوسيلة المعتمدة لدى القائلين بالأنحاء العامّة لإرجاع كثرة الأبنية اللّغويّة إلى مقولات واحدة هي تعريف أقسام الكلم تعريفات دلاليّة عامّة .هذا أهمّ ما نقوله لتوضيح الخلفيّة التاريخيّة للخطإ الأوّل الّذي وقع فيه النحو الأوربي القديم.

أما الخطأ الثاني الّذي وقع فيه النحو الأروبي القديم (وهو وصف لسان ما باعتماد منوال نحوي يلائم لسانا آخر) ففيما قدمناه إنارة للأسباب الّتي جعلت مقولات النحو الإغريقي تُعْتَمَدُ لوصف اللسان اللاتيني بنجاح. بقي أن نشير إلى أن هذا التراث النحوي الإجرائي الإغريقي اللاتيني سيعتمد لوصف الألسنة العاميّة